المحاضرة الثالثة عشر

جامعة الانبار / كلية التربية للعلوم الانسانية - قسم التاريخ / الدراسات العليا

/دراسات في تاريخ المغرب والاندلس/ أستاذ المادة : د. عثمان عبدالعزيز صالح

محتويات المحاضرة ....

ازهار الحركة الفكرية في عصر الامارة

اما عن بدايات نشأة الحركة الفكرية في الاندلس ، فتعود الى الفتـــــــــــح الاسلامي للأندلـــــــــــس سنة (٩٢هـ/٧١٠م)، وذلك لحرص المسلمين على العلم والثقافة ، فقد شهدت هذه المدة قدراً من الثقافة والتي كانت بمثابة خيوط الفجر الاولى التي تؤذن بعد ذلك بمشرق الشمس ، وذلك على يد من جاء من التابعين مع الجيوش الاسلامية الفاتحة للأندلس ، إذ كان كثير منهم على قدر وافر من العلم والمعرفة ، وخاصة في امور الدين ، وكان هؤلاء يعدون هم اوائل المؤسسين للحركة الفكرية في الاندلس ، من خلال الحلقات التي كان يعقدونها في المساجد وغيرها.

اما في عصر الامارة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)، أخذت الدولة الاموية في الاندلس ، ترسي قواعدها وتثبت دعائمها على يد الامير عبد الرحمن الداخل ، عندها بدأت الحركة الفكرية المنظمة في الظهور والنمو، إذ تميز عصر الامارة بنمو الحركة الفكرية في الاندلس ، ولعل من الاسباب التي ساعدت على ذلك ؛ رعاية الامراء للعلم والعلماء فضلاً عن كونهم كانوا مساهمين فاعلين في ضروب العلم المختلفة ، إذ كان الامير عبد الرحمن الداخل قد مثل عهده (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م)، قاعدة متينة لنشأة الحركة الفكرية ، فقد عرف بمكانته في العلم والادب والبلاغـة ، وعـرف ايضاً برجاحة العــقــل وانه ثاقب الفــهــم ، ذو فـصاحة وبلاغة ، فضلاً

عن عقده للشعر، وهذا ما اكده لسان الدين ابن الخطيب بقوله : بأنه كان ((شاعراً ، محسناً ، سمحاً ، سخياً ، طلق اللسان ، فاضل البنان)).

وتميز الامير عبد الرحمن الداخل بابتعاده عن المنكرات ومنها شرب الخمر ومعاشرة النساء ، فيُذكر انه لما وصل الى الاندلس ((اتوه بخمرة فقال : اني محتاج لما يزيد في عقلي لا لما ينقصه ، فعرفوا بذلك قدره ، ثم أُهديت إليه جارية جميلة فنظر اليها وقال : إن هذه من القلب والعين بمكان ، وان انا اشتغلت عنها بهمتي فيما اطلبه ظلمتها ، وان اشتغلت بها عما اطلبه ظلمت همتي ، ولا حاجة لي بها الآن ، وامر بردها على صاحبها))ا.

وكان الامير عبد الرحمن الداخل يعد من اعظم بني مروان مكانة في الادب والبلاغة ، ففي ظل دولته الجديدة في الاندلس ازدهرت الحياة الفكرية في الاندلس ، وفي مختلف المجالات ، فبعد دخوله للأندلس واعلان دولته الجديدة في الاندلس نشطت الرحلات العلمية من الاندلس الى المشرق لا سيما الحجاز وبلاد الشام لطلب العلم ، مما كان لها الاثر الاكبر في نمو الحركة الفكرية في الاندلس في عصر الامارة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)، ومن الاعمال المهمة للأمير عبد الرحمن الداخل والتي اسهمت في نمو وتطور الحركة الفكرية في الاندلس ، فتح الباب للمشرقيين ولكل ما يحــملونه من علم وادب ، إذ اولى لهم عـناية خاصة ، من اجل تشجيعهم على نشر علمهم في الاندلس، وايضاً من اسباب اهتمام عبد الرحمن الداخل بالعلم والعلماء ؛ رغبته في منافسة العباسيين في المشرق لتكون دولته اكثر هيبة وقوة ، لذلك قرب

الكثير من العلماء ، لا سيما الفقهاء منهم ، فولاهم المناصب الرسمية في الدولة ، كالفتيا والقضاء ، وغير ذلك.

وقد سار على النهج نفسه من جاء من بعده ، لا سيما وعهد الامير هشام الاول، (١٧٢-١٨٠ه/٧٨٨-٧٩٦م)، الذي انتشر في عهده المذهب المالكي ، إلا ان اهتمام الامراء بالعلم والتعليم بشكل اكبر واوضح جاء في شخص الامير عبد الرحمن الثاني (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م)، الذي تميز بالعقل والحزم ، مع الاعتدال في لينه وشدته وحبه للعلم والعلماء ، وبالنظر لاستقرار الامور في البلاد كونه ورث ملكاً ممهداً انصرف الى العمران والاهتمام بالعلوم المختلفة ، فارتفعت الاندلس في عهده الى اعلى مراتب الرقي والتطور في مجالات الحضارة المختلفة منها الثقافية والفكرية.

إذ شب الامير عبد الرحمن الثاني محباً للعلوم ، شغوفاً بها ، ونصيراً للعلماء والادباء والفنانين ، فقد ذَكر ابن سعيد بأن اباه قد اعتنى ((بتعليمه وتخريجه في العلوم الحديثة والقديمة))، لذا اصبح عالماً بعلوم الشريعة والفلسفة ، وفي عهده بنيت المساجد في كور الاندلس المختلفة، فضلاً عن ذلك كان الامير عبد الرحمن الثاني مكرماً للعلماء محسناً لهم ، ومنهم كبير الفقهاء يحيى بن يحيى بن كثير (ت٢٣٤ه/٨٤٨م)، مولى بني ليث ، الذي كان كثيراً ما يخلو به ويشاوره.

ومما يؤكد تمسك الامير عبد الرحمن الثاني بعلوم الشريعة وما كان عليه من تدين والتزام ، انه كان يقيم الصلوات بنفسه ، ويصلي إماماً برعيته في اكثر الاوقات، ومما يعزز ما ذهبنا اليه ما ذَكره صاحب كتاب (تاريخ الاندلس) بقوله : ((امر بتغيير المنكر، ... ، وامر بهدم الدور التي تباع فيها الخمر ، وهدم ديار الفساد ، وضرب اهل الفساد وطردهم من قرطبة)).

وفضلاً عن ذلك كان الامير عبد الرحمن الثاني مولعاً بالفلك والتنجيم ، وقد احاط نفسه بنخبة من علماء الفلك وادر عليهم الارزاق والمنح ، ومن هؤلاء العلماء عبد الله بن الشمر بن نمير (ت.ب٢٢٥ه/٨٤٠م)، الذي كان منجمه وشاعره ونديمه في الوقت نفسه، وكان والده الشمر بن نمير من انصار وموالي بني أميه في الاندلس، وعبيد الله بن قرلمان بن بدر، كان جده مولى للأمير عبد الرحمن الداخل.

وفي عهده وصل الى الاندلس العالم علي بن نافع (ت٢٣٨ه/٨٥٢م)، الملقب بزرياب، مولى الخليفة العباسي المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور (١٥٨-١٦٩ه/٧٧٥-٧٨٥م)، وفي كنفه عاش العالم الشهير عباس بن فرناس (ت٢٧٤ه/٨٨٧م)، مولى بني امية في الاندلس ، والذي يعد مخترع الاندلس ، إذ كان فيلسوفاً ، وشاعراً ، وعالماً بالفلك ، وهو اول من استنبط في الاندلس صناعة الزجاج من الحجارة ، وهو الذي قام بأول محاولة للطيران في التأريخ ، وعندما وقف العامة ضد ابن فرناس وشنع عليه وطعن في دينه واتهم بعقيدته ، وقف الامير عبد الرحمن الثاني الى جانبه ، فكان لذلك الموقف اثره البعيد في حياة هذا العالم وفي حياة الطلاب الذين اخذوا عنه.

وبذلك يعد عهد الامير عبد الرحمن الثاني عهداً متميزاً في تاريخ مدة حكم الامراء الامويين في الاندلس ، فسمي عهده بـــ (ايام العروس)، وقد وصف لسان الدين ابن الخطيب عهده قائلاً : ((وفي ايامه احتفلت دولة بني امية بالأندلس ، وعظمت الالقاب ، ... ، وجلب اليه من المشرق بعد ان عاثت الفتنة في قصور ، ... ، وخزائن بغداد ، الذخيرة الرفيعة ، كعقد الشفاء ومثله اعلاق زبيدة بنت جعفر ، ...)).

ومن العوامـــــل الاخرى التي ساعدت على نمو الحركة الفكرية في الاندلس في عصر الامارة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)، وفود عدد كبير من الامويين وانصارهم الى الاندلس بعد دخول عبد الرحمن الداخل اليها ، ولاشك ان هذه الاعداد الكبيرة كان منها عدد كبير على حظ وافر من العلم والمعرفة.

فضلاً عن ذلك عودة اول فوج من طالبي العلم ، الذين رحلوا من الاندلس الى بلدان المشرق الاسلامي لكسب العلوم والمعارف ، وهم بمثابة اعضاء البعثات الذين يتعلمون خارج

البلاد ، ثم بعد ذلك يعودون الى بلدانهم للقيام بدورهم في نشر ما اكتسبوه من علم ومعرفة وفي مختلف المجالات ، ومنهم الغازي بن قيس (ت١٩٩ه/٨١٤م) ، مولى بني امية، الذي رحل وتتلمذ على يد الامام مالك بن انس، ثم بعد ذلك عاد الى الاندلس في عهد الامير عبد الرحمن الداخل ، الذي اكرمه وقربه اليه وعرض عليه القضاء فأبى واخذ ينشر علمه في الاندلس، ومنهم ايضاً عبد الملك بن حبيب بن السلمي (ت٢٣٨ه/٨٥٣م)، مولى بني سليم ، صاحب كتاب الواضحة، ويحيى بن يحيى بن كثير ، وغيرهم.

اما المساجد فكان لها دور مهم في ظهور ونمو الحركة الفكرية في الاندلس في عصر الامارة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)، إذ تعد المساجد من اهم المؤسسات التعليمية الاسلامية ، ومن ابرز المظاهر الدينية والثقافية ، ولها الفضل الاكبر في ازدهار الحركة العلمية في الاندلس ، إذ قام المسجد بمهامه في التعليم من خلال عقد حلقات العلم والتي كانت تعقد في المساجد منذ عهد النبي محمد ﷺ ، وهذا ما رواه البخاري بقوله : ((بينما رسول الله ﷺ في المسجد فأقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد فأما أحدهما فرأى فرجة فجلس وأما الآخر فجلس خلفهم فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : ألا أخبركم عن الثلاثة ؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه))، فضلاً عن الاثر التعبدي والعلمي فقد كانت المساجد منذ العصور الاولى وحتى وقت قريب المقر الذي تناقش فيه القضايا والمشكلات التي تواجه المسلمين سواء كانت سياسية ام عسكرية وما الى ذلك، وعلى رأس هذه المساجد في الاندلس مسجد قرطبة الجامع ، والذي يعد من ابرز المساجد التي اسست في الاندلس بعد الفتح الاسلامي ، لتصبح المساجد النواة الحقيقية للحركة الفكرية في الاندلس ، شأنها في ذلك شأن باقي البلدان الاسلامية الاخرى.

وعلى الرغم من ان اهل الاندلس لم ينشؤوا مدارس في بداية الامر لتعينهم على طلب العلم ونشره ، إلا انهم كانوا احرص الناس على طلبه ، إذ كان الجاهل فيهم الذي ليس له معرفة بالعلم كانت له صنعة تميزه عن غيره حتى لا يبقى فارغاً وعالة على المجتمع ، اما الذين يسعون في طلب العلم ، فكانوا يقرأون جميع العلوم في المساجد، وقد اشار المقري الى ذلك بقوله : ((ومع هذا فليس لأهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم ، بل كانوا يقرأون جميع العلوم في المساجد ، ...)).